**"كلما زادت المصاعب،**

**زاد ما توفره لنا الطبيعة**

**من قدرة على النجاح"**

- إيمرسون -

# ليو تولستوي (١٨٢٨-١٩١٠):

يعد ليو تولستوي من أعظم الأدباء الروس، بل من أعظم أدباء التاريخ الذين أبقوا إرثاً أدبياً لا يزال يثير إعجاب الملايين الذين أحبوا أعماله.

قصة تولستوي قصة مليئة بالإنجازات والإبداع... والحزن!

فمن هو تولستوي؟

ولد ليو تولستوي في ٢٨ أغسطس عام ١٨٢٨ في ياسيانا بوليانا، وكان الرابع بين خمسة أبناء. توفي والداه وهو صغير، فقام بعض أقربائه بتربيته.

التحق بجامعة كازان عام ١٨٤٤م، ودرس القانون واللغات الشرقية، ولكن طريقة التدريس لم تعجبه، فهجرها إلى الأعمال الحرة عام ١٨٤٧م. وبدأ بتثقيف نفسه، وشرع في الكتابة.

وفي تلك المرحلة الأولى من حياته كتب ثلاثة كتب وهي "الطفولة" (١٨٥٢)، و"الصبا" (١٨٥٤)، و"الشباب" (١٨٥٧). وسئم حياته تلك، فالتحق بالجيش وشارك في بعض المعارك، وكتب عن تجاربه تلك موضوعات نُشرت في الصحف، وألَّف عنها كتابه" القوقاز" (١٨٦٣).

تزوج من صوفيا أندريفنا عام ١٨٦٢، وقد أنجبا فيما بعد ثلاثة عشر طفلاً. وكان زواجه سعيداً في البداية، إلا أن ذلك لم يستمر؛ إذ بدأ تولستوي التغير والتحول في نمط حياته؛ إذ أخذ يدعو إلى مبادئه عن الحب والسلام وإلغاء الرق والإقطاع، ثم أصبح يطبق هذه المبادئ على حياته، فعاش حياة الزهاد يرتدي الثياب الخشنة، ويصنع أحذيته بيديه، ويأكل طعاماً بسيطاً في طبق من خشب، وتخلى عن جميع ممتلكاته الأمر الذي أدى إلى نشوب خلافات خطيرة بينه وبين زوجته، وانضم أولاده إلى أمهم ما عدا ابنته الصغرى الكسندرا، فعاش الرجل شقياً في أسرته التي لم ترض عن آرائه، لذا عُد تولستوي من أشهر الحزينين في التاريخ.

وبعد تقاعده من الخدمة العسكرية سافر إلى أوروبا الغربية، وأعجب بطرق التدريس هناك. ولما عاد لمسقط رأسه بدأ في تطبيق النظريات التربوية التقدمية التي عرفها، وذلك بأن فتح مدرسة خاصة لأبناء المزارعين. وأنشأ مجلة تربوية تدعى "ياسنايا بوليانا" شرح فيها أفكاره التربوية ونشرها بين الناس.

وفي عام ١٨٦٩م خرج تولستوي بواحدة من أشهر أعماله..."الحرب والسلام"، وقد اعتبر من عيون الأدب العالمي، ويتناول هذا الكتاب مراحل الحياة المختلفة، كما يصف الحوادث السياسية والعسكرية التي حدثت في أوروبا في المدة ما بين ١٨٠٥ و١٨٢٠م، وتناول غزو نابليون لروسيا عام ١٨١٢م.

ومن أشهر كتبه أيضًا "أنَّا كارنينا" الذي عالج فيه قضايا اجتماعية وأخلاقية وفلسفية في شكل مأساة غرامية كانت بطلتها هي أنَّا كارنينا.

أما تلستوي كفيلسوف أخلاقي، فقد اعتنق أفكار المقاومة السلمية النابذة للعنف، وتبلور ذلك في كتاب "مملكة الرب بداخلك"، وهو العمل الذي أثر في

مشاهير القرن العشرين مثل الماهتما غاندي ومارتن لوثر كينج في جهادهما الذي اتسم بسياسة المقاومة السلمية النابذة للعنف.

وقد تعمق تولستوي في القراءات الدينية، وقاوم الكنيسة الأرثوذكسية في روسيا، ودعا للسلام وعدم الاستغلال، وعارض القوة والعنف في صورهما شتى. ولم تقبل الكنيسة آراء تولستوي التي انتشرت في سرعة، فكفرته وأبعدته عنها. وأُعجب بآرائه عدد كبير من الناس وكانوا يزورونه في مقره بعد أن عاش حياة المزارعين البسطاء تاركًا عائلته الثرية المترفة. ومن كتب تولستوي المشهورة أيضًا كتاب" ماالفن؟" الذي أوضح فيه أن الفن ينبغي أن يُوجِّه الناس أخلاقيًا، وأن يعمل على تحسين أوضاعهم، ولابد أن يكون الفن بسيطًا يخاطب عامة الناس.

وفي أواخر حياته عاد تولستوي لكتابة القصص الخيالية فكتب "موت إيفان إيلييتش" (١٨٨٦) كما كتب بعض الأعمال المسرحية مثل" قوة الظلام" (١٨٨٨). وأشهر أعماله التي كتبها في أواخر حياته كانت "البعث"، وهي قصة كتبها عام ١٨٩٩م، وتليها في الشهرة قصة "الشيطان" (١٨٨٩)، و"كريوتزسوناتا" (١٨٩١) و"الحاج مراد" التي نُشرت بعد وفاته، والتي توضح عمق معرفته بعلم النفس، ومهارته في الكتابة الأدبية. وقد اتصفت أعماله كلها بالجدية والعمق وبالطرافة والجمال.

وتنسب لتولستوي أقوال عن نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- توضح مدى إعجابه بنبينا الكريم، ومنها:

- "يكفي محمداً فخراً أنّه خلّص أمةً ذليلةً دمويةً من مخالب شياطين العادات الذميمة، وفتح على وجوههم طريقَ الرُّقي والتقدم، وأنّ شريعةَ محمدٍ ستسودُ العالم لانسجامها مع العقل والحكمة".

- "أنا واحد من المبهورين بالنبي محمد الذي اختاره الله الواحد لتكون آخر الرسالات على يديه، وليكون هو أيضا آخر الأنبياء".

- صورة لتولستوي في أواخر أيامه -

- طابع يحمل صورة تولستوي -

وحين بلغ تولستوي الثانية والثمانين ضاقت نفسه بالشقاء المخيم على منزله. فهرب من زوجته في ليلة تساقط ثلجها، وسار هائماً على وجهه في الظلام. وفي السابع من نوفمبر عام ١٩١٠ وبعد أحد عشر يوماً من هروبه من منزله توفي تولستوي بداء ذات الرئة وحيداً فقيراً في محطة أستابوفو للقطارات، وقد شارك آلاف الفلاحين في جنازته.

وبعد وفاته قالت زوجته لأبنائها: "لقد كنت السبب في وفاة أبيكم"... ولكن بعد فوات وقت الاعتذار من المرأة التي أصبح زوجها من أشهر التعيسين في التاريخ... بسببها.